الجزء الرابع — المجلد التاسع والأربعون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

شعبان المعظم ١٣٩٤ هـ — أيلول « سبتمبر » ١٩٧٤ م

# لغة العامة

الأستاذ شفيق جبري

أذكر أني قرأت في تاريخ الأدب الفرنسي أن شاعراً من شعراء فرنسة في القرن السابع عشر ـ وقد فاتني اسمه ـ كان يذهب إلى سوق بياعي السمك ، ويتلقط طائفة من مصطلحاتهم ويدمجها في شعره ، اعتقاداً منه أن هذه المصطلحات قوية في تعبيرها ، كثيرة الدلالة . وقد ذكرني هذا الأمر بيتاً من الشعر جاء في إحدى قصائد البحتري ، نجد فيه صورة من الصور التي تشيع على ألسن العامّة في عصرنا هذا ، ومن يدري فقد تكون هذه الصورة شائعة في عصر البحتري ، فمن أقوال العامة في أيامنا : إذا أفلس



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجندي فتّش عن دفاتره العُتَق ، أي القديمة . فهذه الفكرة نجـدها في شعر البحتري :

وأمـــارات مفلسٍ أن تراه مُوفِضاً في اقتضاء دَيْنٍ قديم

والحقيقة أن للعامة تصرفاً في بعض الألفاظ يشبه تصرف الخاصة ، فهي قد تحولها عن معناها الحقيقي الى معناها المجازي في شيء من التشبيه أو الاستعارة أو ما يشبه ذلك ، فإن هذا كله لا يعجزها ، فقد تجد في الألفاظ ما يعينها على التعبير عن صورة من الصور التي تزدحم في صدورها ، فاذا كان للخاصة مجال ذو سعةٍ في هذا الباب فإن للعامّة مثل هذا المجال ، إن لها لغتها الشعرية .

وقد يكون ضرب الأمثـال أقوى في الدلالة على هذا القول ، فمن ألفاظ العامّة وهي فصيحة : اندلق ، يقال في اللغة : اندلق خـرج من مكانه ، والسيل اندفع ، والسيف انسلّ بلا سلّ ، أو شقّ جفنه فخرج منه . . ولا تخـرج العامّة في استعمال هذه المادة عن معناها الفصيح ، فهي تقول : اندلق الماء من الإناء جرى على وجه الأرض ، وكذلك اللبن والمرق وكل شيء مائع .

الاّ أن العامة لم تقتصر على معنى هذه المادة الحقيقي ، فهي قد حوّلته الى المجاز في لغتها ،فإذا قالت : اندلق فلان فإنها أرادت بذلك معنى مجازياً ، فقد يكون جملة من الناس في مجلس أو سهرة فيخرج أحدهم عن حدّ المزح ويشتط في ذلك فيقولون : اندلق ، أي أصبح لا يطاق في مزحه وشطحه ، وهو تعبير قوي في لغة العامة ، خصب الدلالة .

ومن هـذا القبيل مادة انفلق ، يقال : فلقه شقـه كفـلّقه فانفلق وتفلّق ، ولا حاجة بنا إلى الاستقصاء في مشتقات هذه المادة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد تقيدت العامة في لغتها بهذا المعنى فهي تقول : فلق الفستق أو اللوز أو الجوز أي شقه ، إلاّ انها قد خرجت عن حقيقة هذا المعنى إلى المجاز ، فإذا وقع خلاف بين رجلين وغضب أحدهما أو ساءه أمر أو غير ذلك من الأمور قال الآخر : خلّه ينفلق ، أي انه لم يبال به ولا بغضبه فليشق جسمه أو روحه .

وقد تأتي مادة انفزر مرادفة لمادة انفلق ، يقال في اللغة : فزر الثوب شقه فتفزّر وانفزر ، فالعامة تستعمل الفزر بمعنى الشق ، ثم تجاوزت حقيقة المعنى إلى المجاز ، فهي كما تقول في أحوال الغضب والهياج : خلّه ينفلق ، فكذلك تقول : خلّه ينفزر ، وقد استعملوا هذه المادة في الإفصاح عن كثرة الأكل فيقولون : أكل حتى انفزر .

ومن تصرف العامة في بعض لغتها قولها : اندلع . نجد لمادة اندلع في اللغة معاني كثيرة ، فالفعل الثلاثي : دلع لسانه ، أخرجه كأدلعه فدلع دلعاً ودلوعاً ، أما اندلع فلها معانٍ مختلفة ، منها : اندلع بطنه عظم واسترخى ، والسيف من غمده انسل ، واللسان خرج ، وقد نكتفي بذلك .

أما العامة فانها لا تستعمل هذه المادة على حقيقتها ، فنحن لا نسمعها تقول : اندلع لسانه أي خرج ، واندلع بطنه أي عظم واسترخى ، ولكنها تستعمل هذه المادة على سبيل المجاز ، فاذا كان ولد محباً الى أهله ، طامعاً في محبتهم له ، متدللاً عليهم ؛ فقد يميل به هذا كله الى الخروج في بعض الأحيان عن الحد ، فتظهر عليه آثار محبة أهله له فيندلع ، إما في حركاته وإما في كلامه ، أي انه يشتط ، وربما كان هذا الاشتطاط سبباً في تأفف الناس منه ومن حركاته وكلامه ، وقد نجد صلة بعيدة أو قريبة بين معنى اندلع الحقيقي ومعنى اندلع المجازي الذي تميل اليه العامة ، فكما أن اللسان يندلع فيخرج فكذلك الولد يندلع فيخرج عن حده .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن المجاز في قول العامة : كسحه ، وقد نجد في اللغة معاني مختلفة لمادة كسح ، من هذه المعاني : كسح ـ كمنع ـ كنس ، وكسحت الريح الأرض قشرت عنها التراب ، واكتسحوهم أخذوا مالهم كله .

وما أظن أن العامة تستعمل هذه المادة في معناها الحقيقي ، فهي قد استخرجت منها صورة مجازية قوية ، فقد تقع مغالبة بين رجلين فيغلب أحدهما فيقولون في الذي غلب أنه كسح خصمه كسحة قوية ، أي غلبه أو وبّخه أو أغلظ له في الكلام وما شابه ذلك ، فاذا أحببنا التوسع في المقـابلة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قلنا كما أن الريح تكسح الأرض أي تقشر عنها التراب فكذلك الرجل يكسح الآخر أي يجرده من قوته فكأنه يقشر عنه هذه القوة .

وإذا انتقلنا من هذا الباب الى باب آخر اهتدينا الى تركيب يجـري على ألسن العامة قد يصعب علينا ادراك عمقه ، ماذا نجد في مادة المشط ، فالمشط في اللغة آلة يمتشط بها وقد امتشط ، والمـاشطة التي تحسن المَشْط وحرفتها المِشاطة بالكسر ، وقد استخرجت العامة من هذه المـــادة معنى لطيفاً ، فاذا شغر منصب من المناصب أو وزارة من الوزارات وطمع أحـــد الناس في هذا المنصب أو في هذه الوزارة قالت العامة : فلان مشّط ذقنه ، فهي تستعمل : مشّط مشددة ، فالمشط لفظة فصيحة وكذلك الذقن ، فكما أن الانسان في وقت زينته وتحسين مظهره يمتشط حتى يكون في صورة مقبولة فكذلك يهيىء نفسه حتى يحصل على أمر من الأمور .

وإذا استطعنا أن نجد في لغة العامة وجهاً لتحويل ألفاظها عن معناها الحقيقي الى معناها المجازي ، اذا استطعنا أن نجد وجهاً لهذه اللغـة الشعرية التي تستفيض في كلامها في بعض الأحيان ـ فما أظن أنّا في أحيان ثانية نقدر على فهم هذا الوجه ، فقد يشكل علينا ربطها بين لفظ ولفـظ فلا نهتدي في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا الربط الى سبيل ، فيبقى المعنى مبهماً نأخذه على ظـــاهره ولا ندرك باطنه . من هذا النحو قول العامة : فلان خرط مشطي أي أعجبني كل الإعجاب وبلغ مني كل مبلغ ، فقد أعجبني فهمه أو عقله أو حسن تصـرفه ففي اللغة نجد لـ ( خرط ) معاني كثيرة منها : خرط الشجر يخرِطه ويخرُطه انتزع الورق منه اجتذاباً ، وخرط العود قشره وسوّاه والصانع خراط ، وحرفته الخراطة بالكسر . وأما المشط فمعروف فهو آلة للامتشاط . فما هي الصلة بين الخرط والمشط ، فاذا قلنا : فلان « خرط مشطي » فهل معنى هذا أنه انتزع الإعجاب مني كما يفعل الذي يخرط الشجر فينتزع الورق منه ؟ وكيف كان الأمر فالصلة غامضة .

أما المشكلة في هذا الباب كله فإن لكل بلد من بلاد العرب لغة مجازية خاصة ، فقد تشيع مثلاً في دمشق ألفاظ تستعملها العامة في مخاطباتها وأحاديثها ويفهم الناس معانيها ولكن هذه الألفاظ لا تستعمل في بلد آخر مثـــل القاهرة أو بغداد أو غيرهما من بلاد العرب ، وليس عندنا معجم يشتمل على ألفاظ العامة الفصيحة وعلى معانيها المجازية في كل عصر من العصور ولكن هذا كله لا يمنعنا عن : أن نقول : إن للعامة لغتها المجازية الخاصة .

دمشق — شفيق جبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net